Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وبين الأمم التي كانوا يتجرون معها أصبحت حقيقية مقررة ، وقضية ثابتة ، لا شك يحيط بها ، ولا غموض يلفها ، ولا حاجة إلى إعادة القول فيها (١) .

ولكن ابن سلام لم يلتفت إلى شيء من ذلك ، فقد اقتصر في كتابه على الإشارة إلى أثر البيئة في كثرة الشعر الجاهلي وقلته ، وفي صعوبة أسلوبه وسهولته ، فلاحظ أن الشعر نما وازدهر واتصف بالضخامة والجزالة في البيئات البدوية ، لاتصال الحروب فيها ، ووعورة حياتها ، وأنه ضعف وانحسر ، وغلبت عليه الرقة والسلاسة في المجتمعات المدنية لاستقرارها وتحضرها (٢) .

ويبدو أن قلة وصف الشعراء الجاهليين للبحر ، وتشتت ما بقي منه في كثير من الدواوين والمصادر والمظان هما اللذان جعلا ابن سلام يهمل الوقوف عند أثر البيئة في شعراء البحرين واليمامة ، ولا يقع على تشبيههم لنوقهم وإبلهم ، وهي تقطع أميال الفلوات بالسفن التي تمخر عباب البحر ، ولا على تصويرهم الطويل المفصل للغواصين ، وهما اللذان حملا الجاحظ أيضاً — على سعة معرفته ، وتنوع ثقافته — على الإعراض عن الحديث عن السمك وغيره من الحيوانات المائية في كتابه : « الحيوان » ، لأنه لم يجد من الأشعار ما يزوده بمادة وفيرة يعتمد عليها ويختار منها ، لا في الشعر الجاهلي ، ولا في الشعر الأموي ، ولا في الشعر العباسي . ومن أجل ذلك نراه يقول (٣) : « لم نجعل لما يسكن الملح والعذوبة ، والأنهار والأودية ، والمناقع والمياه الجارية ، من السمك ، ومما يخالف السمك مما يعيش مع السمك باباً مجرداً ، لأني لم

---

(١) حضارة العرب ، لجوستاف لوبون ص : ٥٣٣ ، وفجر الاسلام، لأحمد امين ، ص : ١٢ ، والعرب والملاحة ، لجورج حورانـي ص : ٩٢ ، وتاريخ العرب قبل الاسلام ، لجواد علي ٨ : ٧٥ .
(٢) طبقات فحول الشعراء ص : ١١٧ ، ٢٠٤ ، ٢١٧ .
(٣) الحيوان ٦ : ١٦ .